



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

لغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية
النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ
ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية:
رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ
ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة
<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>
ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:
asj4iu@iu.edu.sa
البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرُفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لتركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأهر

أ.د. توكي بن سهو العتبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- ففي حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- ففي حال اعتماد نشر البحث تقول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	توافق القراءات القرآنية وأثره في الترجيح الإعرابي لدى الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) في كتابه روح المعاني د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور	٩
(٢)	موقف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥) من تنوع عبارة ابن مالك النحوية في نسخ التسهيل د عبد العزيز سليمان الملحم	٥١
(٣)	قلق التأثر بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" وهارولد بلوم في "قلق التأثر - دراسة وصفية مقارنة" منال بنت صالح المحميد	١٠٥
(٤)	بَيِّنَةُ الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ فِي سِيَاقِ التَّحَاقُلِ الْمَعْرِفِيِّ قراءة استقرائية من المقاربة إلى المنهج د. فهد إبراهيم سعد البكر	١٣٥
(٥)	بلاغة الرواية من وجهة نظر وين بوث (مقاربة وصفية مع التطبيق على رواية: في ديسمبر تنتهي كل الأحلام) د. زكية بنت محمد بن مبارك السليس العتيبي	٢٢٣
(٦)	الوجوه الأسلوبية في الخطاب الحجاجي الوعظي "في خطبة تصريف الزمان وذكر المعاد لابن نباتة" د. أسماء عبد الله عبد الخالق الزهراني	٢٦٥

م	البحث	الصفحة
(٧)	تَوْظِيفُ الْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ فِي النَّقْدِ السَّاخِرِ "دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَلَى مَا جَاءَ فِي بَابِ ذَمِّ الشَّعْرِ الرَّدِّيِّ مِنْ كِتَابِ الْمُوشَحِ لِلْمَرْزُبَانِيِّ" د. عواد بن ملفي زايد الشمري	٣٠٩
(٨)	الرسائل النقدية في العصر الحديث: بدر شاكر السياب أنموذجا د. سالم بن محمد بن سالم الضمادي	٣٥٩
(٩)	تعدد اللغات الإنسانية ودوره في تشكيل السرد دراسة في رواية محمد حسن علوان (جرما الترجمان) د. دلال بنت بندر المالكي	٣٩٩
(١٠)	الاستفهام الشعري في ديوان "يحيى بن حكم الغزال" مقارنة حجاجية تداولية د. هبة مصطفى جابر	٤٤٧
(١١)	مُشْكَلاتُ تَوَاجِهِ الطَّلَابِ النَّاطِقِينَ بغيرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دِرَاسَةِ الْقَوَاعِدِ فِي سِلْسِلَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ يَدِيكَ (الْكِتَابُ الرَّابِعُ نموذجاً) عرض ودراسة ونقد د. إبراهيم عبدالله أحمد الزين د. سليمان يوسف خاطر	٤٨١

قلق التأثر بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" وهارولد بلوم في "قلق التأثر" دراسة وصفية مقارنة^(١)

Anxiety of Influence Between the Arab Heritage and
Modern Western Studies
Abd al-Qahir al-Jurjāni in "Dalā'il al-I'jāz" and Harold
Bloom in "Anxiety of Influence"
A descriptive comparative study

منال بنت صالح المحميد

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الآداب بقسم اللغة العربية بجامعة الأميرة نورة بنت
عبد الرحمن (الرياض)

البريد الإلكتروني: msalmohimeed@pnu.edu.sa

(١) مُول هذا المشروع البحثي الذي بعنوان: "قلق التأثر بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة"، من
عمادة البحث العلمي، في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، من خلال برنامج: (دعم بحوث
العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية)، المنحة رقم (١٤٤٢ ع ش ع-٠٨)، رقم المشروع: (٢١١٥٥)،
أزجي الشكر لجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، وللدعم والمساندة من عمادة البحث العلمي،
فلهم جزيل الامتنان والثناء. والشكر لفريق المشروع: الدكتورة زكية بنت محمد العتيبي -باحث
مشارك-، وطيف السليس -باحث مساعد-، وهذا البحث هو امتداد لمشروع مول نتج عنه ورقتين
علميتين منه بحثنا هذا، والبحث الآخر بعنوان: قلق التأثر بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة
-أسرار البلاغة وقلق التأثر عند هارولد بلوم، دراسة وصفية مقارنة، للدكتورة زكية العتيبي.

الملخص بالعربي:

تهدف الدراسة إلى مقارنة نقد الإبداع الشعري في تراثنا العربي ممثلاً برأي "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز" مقابل فلسفة هارولد النفسية في الدراسات النقدية الغربية الحديثة في كتابه "قلق التأثر"؛ وعليه فإن البحث يقدم دراسة مقارنة؛ لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين الرؤية العربية والغربية لموضوع الإبداع الشعري. إن قلق التأثر منهج نقدي، اقترحه "بلوم"؛ فالقلق الإبداعي تابع من الإنسان الأديب، إنه قلق إنساني لظاهرة الإبداع الأدبي. ومن هذا المنطلق رأت الدراسة أن تجمع بين عقليتين اتفقتا على تأييد الفكرة نفسها، وإن كان لكل منهما مصطلحاته الخاصة التي تمثل حقبة والتقاليد الأدبية الثقافية التي تميز أحدهما عن الآخر. **الكلمات المفتاحية:** التناص، الشعر، الجرجاني، هارولد بلوم، الإبداع الشعري.

Abstract

The objective of this study is to compare the poetic creativity in original Arab heritage, represented by the opinions of "Abd al-Qahir Al-Jurjāni" in his book "Dalā'il Al-I'jāz" with Harold's psychological philosophy in modern Western critical studies in his book "Anxiety of Influence". The research presents a comparative applied study which attempts to pinpoint the similarities and differences between Arab and Western visions regarding poetic creativity. The anxiety of being influenced by critical theories was launched by Bloom to assert that the creative concern stems from the literary person, regardless of their gender or history. The study investigates the formerly mentioned critics, their different eras and the cultural, literary traditions that distinguish one from the other.

Key words: intertextuality, poetry, al-Jurjāni, Harold Bloom, poetic creativity.

المقدمة

أ-موضوع الدراسة

من النظريات النقدية المؤثرة في النقد الأدبي المعاصر نظرية "قلق التأثر" التي اقترحها "هارولد بلوم"^(١)، وهي نظرية لها جذور في التاريخ الأدبي العربي؛ فالقلق الإبداعي نابع من الإنسان الأديب؛ إنه قلق إنساني لظاهرة الإبداع الأدبي، ومن هذا المنطلق رأت الدراسة أن تجمع بين عقليتين اتفقتا على تأييد الفكرة نفسها، وإن كان لكل منهما مصطلحاته الخاصة التي تمثل حقبة والتقاليد الأدبية الثقافية التي تميزه عن الآخر.

فنحن نعود بذاكرتنا النقدية العربية إلى الوراء؛ لنقف على نموذج منها، هو "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"؛ لنضعه في مقارنة وصفية نقدية مع ناقد معاصر هو "هارولد بلوم" صاحب نظرية "قلق التأثر"؛ فنكشف عن رأيهما في هذه القضية النقدية الهامة التي تبين مدى القلق في التجربة الشعرية، وكيف أن الشاعر المعاصر يحاول ألا يقع في فخ معاني السابقين بواسطة التناص مع نصوصهم.

إن الإرث العربي والنقد العربي المعاصر يحكيان القضية نفسها والهاجس نفسه؛ إذ إنهم يفسران قلقاً فنياً لدى الشعراء، وهي ظاهرة إنسانية، تصيب كل فنان؛ فالنضج

(١) من أبرز النقاد الأمريكيين في النصف الثاني من القرن العشرين، ولد عام ١٩٣٠م وتوفي ٢٠١٩ تقلد مناصب أكاديمية عديدة وكراسي تدريس رفيعة في جامعة (ييل، ونيويورك وهارفارد) وهو من أهم النقاد الذين رفعوا شأن التيار الرومانتيكي الإنجليزي الشعري على وجه الخصوص، ينتمي إلى نقاد ييل الذين نشطوا في جامعة ييل في أواسط السبعينات من القرن العشرين، له مشروع نقدي ضخم في القراءة الضالة والكتابة الضالة أسفر عن عدة كتب مهمة أبرزها الكتاب موضع الدراسة وكتابه وخريطة القراءة الضالة، وكيف نقرأ ولماذا، والتقليد الأدبي الغربي، (النقد والقبالة، والشعر والكبت، وغيرها من الكتب) للمزيد يُنظر: البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، المغرب/ الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٧، ص: ٣٨٠.

الفني ناتج عن دراسات وقراءات سابقة في الفن نفسه، وهذا البحث امتداد لمشروع عُني بالرجحاني وبلوم، وسيكون حديثنا هنا عن كتاب "دلائل الإعجاز" للرجحاني^(١).

ب- مشكلة البحث، وأسباب دراستها

تباينت آراء النقاد حول قضية الإبداع ومكوناتها الأساس، فإذا كل نص هو نسيج جديد "من استشهادات سابقة"^(٢)، وإن كان ثلاثة أرباع المبدع مكوّن من غير ذاته^(٣)، فكيف يتخلص المبدع من تلك الاتهامات التي تسلب منه التفرد بمعانيه وألفاظه؟ هذا ما سأناقشه في هذا البحث بموازنة بين عبد القاهر الجرجاني بوصفه أئمةً على الموروث النقدي العربي في كتابه "دلائل الإعجاز"، وهارولد بلوم الناقد الأمريكي المعاصر في كتابه "قلق التأثر". فمن الأسئلة المطروحة: كيف يولد الشعراء الحقيقيون؟ وما علاقة الإبداع الشعري بقضية التأثر؟ وما الأفكار التي اتفق عليها كل من بلوم والرجحاني في قضية الإبداع الشعري؟ وغير ذلك.

وقد اخترنا الناقد العربي الجرجاني عبد القاهر في هذه الموازنة؛ لأنه - في رأينا - معتدل النظرة في قضية السرقات الأدبية، إذ إنه يبرر الإبداع الأدبي عند المبدعين دون أن يوغل مثل سابقيه بمسألة السرقة الأدبية أو غيرها، إنما كان على وعي كبير وإدراك بقضية الإبداع الشعري ومكوناته، وبهذا يتفق في بعض الجوانب مع بلوم.

(١) المشروع يتناول الجرجاني بكتابه "أسرار البلاغة"، "دلائل الإعجاز" مقارنة مع ما جاء به بلوم، الكتاب الأول بحث فيه د. زكية العتيبي بعنوان: قلق التأثر بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة: مقارنة وصفية بين فلسفة الجرجاني في "أسرار البلاغة"، وبلوم في "قلق التأثر".

(٢) بارت، رولان، من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، عدد ٣٨، ١٩٨٦، ص ١١٥.

(٣) لانسون، منهج البحث في تاريخ الأدب، ترجمة: محمد مندور، نخبة مصر، ١٩٧٢م، ص ٤٠٠.

ج- منهج البحث:

فرضت الموازنة بين رأيين نقديين حول الإبداع الشعري على البحث المنهج المقارن الوصفي، وقد سار البحث في أربعة محاور، وهي: النظر إلى الإبداع الشعري وقضية التأثر، ثم فلسفة الإبداع الشعري بين الجرجاني وهارولد بلوم، يلي ذلك وقفة حول عودة الموتى عند هارولد بلوم، ثم طرح سؤال: كيف يصبح الناس شعراء؟ وخاتمة جمعت الفرق بين بلوم والجرجاني في فلسفة الإبداع الشعري.

د- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز فكرة قلق التأثر في كتب التراث على أنها ظاهرة ليست بجديدة، وإنما كان العرب الأوائل لديهم الإدراك بشأن الإبداع الشعري، وهو ما يسمى عند أحد النقاد بـ "تعايشات المعنى"^(١)، كما يهدف إلى تأصيل مصطلح التناسل عربياً وتبسيط الضوء على أوجه الشبه والاختلاف بين الفلسفة العربية والغربية في تفسير نظرية التناسل.

هـ- الدراسات السابقة:

من الدراسات التي عنت بموضوع التأثر الشعري:

- محمد زكي، التناسل وقلق التأثر لدى الشاعر المعاصر، مقارنة بين عصر الأنوار التي درسها بلوم، وعصر قلق الشعراء العرب، (٢٠١٧). تناولت هذه الدراسة المقارنة بين عصريين وثقافتين مغايرتين، ولم تركز على نظرية "قلق التأثر".
- صالح بن سعيد الزهراني، إشكالية الاحتذاء في المعنى الشعري عند عبد

(١) بارت، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، بيروت، دار عويدات، ١٩٨٨ م.

القاهر الجرجاني، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية، جامعة أم القرى،
مج ١٠، ١٥٤، ١٩٩٧.

ركزت هذه الدراسة على قضية الاحتذاء عند الجرجاني، وهو إن تقاطع مع بحثنا
في هذه القضية، إلا أنه يفترق عنها في جانب المقارنة مع بلوم، والحديث عن تكوين
الإبداع الشعري.

- قلق التأثير ومحنة الشعر المُحدث: ابن المعتز محاورًا لامرئ القيس، بوشناق
سعيد، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، الجزائر،
العدد ٩٥ المجلد ٦، ص ٢٠١٤-٢٣٦

وهذه الدراسة تسلط الضوء على الحديث عن قلق التأثير من وجهة نظر هارولد
بلوم وحده في كتابه (قلق التأثير) عن طريق التطبيق بين شاعرين، هما: امرؤ القيس
وابن المعتز من خلال التطبيق على عينة عربية من الشعر القديم، أما هذا البحث
يسلط الضوء على التأصيل لفكرة التناسخ ثم المقارنة بين فلسفة الجرجاني في كتابيه:
(أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز) وفلسفة هارولد بلوم في كتابه (قلق التأثير) حول
نظرية التناسخ.

- ظاهرة التناسخ بين الإمام عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا، بحوث
المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بأسبوط، (الإمام عبد القاهر
الجرجاني وجهوده في إثراء علوم العربية)، المدة من ٨ - ١٠ شوال
١٤٣٥هـ، السنة ٢٠١٤م، الشهر ١١، المجلد ٣ أرقام الصفحات
١٣٨٦ - ١٤٣٤، الرقم المرجعي للكتاب ٢٢٣١٦ / ٢٠١٤، وهذه
الدراسة تقارن بين ظاهرة التناسخ عند عبد القاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا،
أما هذا البحث فيقارن بينهما في شقه الأول، لكنه في شقه الثاني يهتم
بفلسفة قلق التأثير بين المؤلفين في الكتب المذكورة.

- الإبداع الشعري وقضية التأثر:

لم يأتِ بلوم بجديد في قضية الإبداع الشعري، لكنه نظر إليها من جهة المبدع وتأثره بنصوص أسلافه وإعادة الموتى كما يقول، فعلى سبيل التذكّر سنشير إلى ما قاله بعض النقاد في قضية الإبداع، فقد رأى "باختين" أن كل نص أدبي يتشكل دائماً من نصوص سابقة، "فكأنه ذاكرة يَحْتَرَن بها أعمالاً إبداعية كان قد تحاور معها في فترات مختلفة، وبالتالي يصعب فهم هذا النص أو ذاك دون التعرف على منابعه - فالنص يضمن ديمومته وتواجده وتجديده من تلقاء نفسه، بالتالي فإن تأويله يقتضي العودة إلى ذاكرته" (١).

ليس ذلك فحسب، بل إن "باختين" يدعو إلى العودة إلى منابع من أجل فهم النص، "ولهذا السبب بالذات فإن الصنف الأدبي قادر على تأمين وحدة استمرارية هذا التطور؛ لهذا السبب يقتضي الصعود إلى منابع نفسها من أجل أن نفهم الصنف الأدبي فهماً صحيحاً" (٢).

إن في ذلك دلالة على أن بلوم لم يتدع شيئاً جديداً، إنما هي فلسفة نقدية جمع فيها بين آراء النقاد ونظرية الإبداع عند فرويد من وجهة نظر نفسية طرحها في كتابه قلق التأثر عند الشعراء، وفَسَّر هذا القلق فيما يراه، وقسّم ذلك على مراحل يمر المبدع بها، وعليه يخشى الشعراء مما سبقهم، مع رغبتهم الأكيدة بالتفرد (٣)، لم تقتصر فلسفة بلوم على ذلك بل تبنّت رؤية قبلالية متأخرة للنصوصية والتأثير لتكون نموذجاً لنظريته في

(١) نور الدين، صدار النقد العربي القديم وجذور نظرية التناص، مجلة قراءات، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي - معسكر -، العدد الأول، ٢٠٠٨، ص ٢١١.

(٢) باختين، ميخائيل، شعرية دوستوفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، الدار البيضاء، دار توبقال، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٥٥.

(٣) يُنظر: البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص ٣٨٤.

قلق التأثر مطبقاً على الشعراء^(١)؛ فقد أفاد بلوم من مبدأ القبالة^(٢)، وهي عنده أصل للإبداع الشعري^(٣)، فتأثر بها وطبقها في دراسته على الشعر في فترة ما بعد التنوير. فإن كانت القبالة تعني تلقي المرء للتراث والتقليد، فإن بلوم يرى ذلك في الشعراء الذين يتأثر بعضهم ببعض، وعليه فإنها أصل للإبداع الشعري^(٤)، وهي - برأيه أيضاً - النموذج الأمثل لفلسفة قلق التأثر؛ وهذا عائدٌ إلى تضمينها قراءة استرجاعية تستعيد

(١) Bloom, Harold, Poetry Repression: Revisionism from Blake to Stevens, 1976, p213.

(٢) تعدُّ القبالة تراثاً ضخماً قديماً، مرّ بتطورات تاريخية، وفيه وضع أسس التفسيرات الصوفية (...) وحل محل التوراة والتلمود (...) وهي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهودية، والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل، أو ما تلقاه المرء عن السلف (...) وكان يقصد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم الشريعة "الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني من أواخر القرن الثاني عشر أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة (...) ومن المصادر الأخرى للقبالة فكرة الشريعة الشفوية (...) وما فعله القباليون - فيما بعد - هو أنهم اقتبسوا من التلمود المقاطع والآراء ذات الطابع الحلولي ونزعوها من سياقها (...) والرؤية الحلولية القبالية هي في جوهرها وحدة وجود روحية كاملة تحمل استعداداً للتحويل لوحدة وجود مادية. وهذا ما حدث مع تزايد نزعات العلمنة في المجتمع الغربي (...) وهو الأمر الذي أنجزه إسبينوزا في إطار الفلسفة الغربية (...) فبدلاً من الصور المجازية (...) ظهر فرويد "المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩م، ج ١/١٦٣ - ١٦٧. ونوه القارئ إلى أن بلوم غني بالقبالة اللورانية التي هي فرع من القبالة التي تطور إبان القرن السادس عشر، يمكن الاستزادة عنها في مرجع: البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص ٣٨٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٨٣.

(٤) يُنظر: المرجع السابق نفسه، ص: ٣٨٨.

المعنى الأصلي للنص، والتأثر كما يراه ليس التأثر الطبيعي بين السلف والخلف فقط؛ إنما يبرز أيضاً من خلال التضاد والصراع بينهما، وقد كرر هذه الفكرة في كل مؤلفاته مثل: النقد والقبالة (١٩٧٥م)، وكتاب خارطة القراءة الخاطئة^(١) أو الضالة (١٩٧٥م)، وكتاب الشعر والكبت (١٩٧٦م)، هذه الكتب الثلاثة من الدراسات النقدية التي جاءت في أواسط السبعينات؛ لتؤصل فلسفة بلوم، تلك النظرية عكف على تطويرها في مؤلفاته ليبرهن على قضية تأثر الشعراء ببعضهم البعض، مبتدأ بكتاب قلق التأثر الذي سبقهم جميعاً (١٩٧٣م).

ركز بلوم في دراسته على الشعراء بعد عصر التنوير في القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأت فيه الرومنتيكية، وخص بالدراسة الشعراء الأنجليز والأمريكان الأقوياء منهم فقط، بالإضافة إلى ما وجده عند الشعراء الرومنتيكيين من نزعة تعلي فيها شأن الاتصال الفردي بالمعرفة من خلال الإلهام المباشر؛ "فبلوم كما يعلن في كتبه ناقد يؤمن بالتجربة الفردية وبتعالى الإنسان وتمكنه من المعرفة الاستبطانية من خلال الخيال والرؤية المتفردة وهو ما سبق أن آمن به الرومانتيكيون الإنجليز والاستعلاويون الأمريكيين"^(٢).

وبشيء من التلخيص نقف قليلاً عند تفسير فكرة الإبداع بالتأثر من نصوص

(١) تختلف الترجمة للكتاب، فسعد البازعي ترجمها الخاطئة في كتابه: المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص ٣٨٤. وترجمها عابد إسماعيل، خريطة للقراءة الضالة، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط ١، ٢٠٠٠م. إن من يقرأ كتاب قلق التأثر يلزمه قراءة كتاب "خريطة القراءة الضالة"، والسبب في ذلك أن بلوم تحدث عن هذه النظرية وكيف أثارت الرأي في محاضراته بالجامعات ولاقت مقاومة، إذ يقول: "سواء أكانت صحيحة أم لا فهذا لا شأن لها فيما يتعلق بالنقد العملي، وتعد مقاومة الشعراء للنظرية برهاناً على صلاحيتها، فجميع الشعراء قوبلهم وضعيفهم يتفقون على إنكار تورطهم في التأثر"^(١)، وخص بذلك الشعراء المعاصرين، وأن محبة الشعراء للأسلاف تنقلب إلى صراع فيما بعد.

(٢) البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص: ٣٨٤.

سابقة المسماة بـ "التناص" عند بعض النقاد من باختين والشكلانيين الروس حتى جوليا كريستيفا، ومهما اختلفت ترجمة المصطلح فالمفهوم واحد، فباختين يرى أن النص لا يخلو من تأثير سابق عليه، وتتعدد أشكاله عنده، ثم امتدت رؤيته إلى باقي الشكلانيين الروس؛ فصار العمل الأدبي في رأيهم لا يُدرك إلا بعلاقاته بالأعمال الأخرى، والتداخل الحاصل بين النصوص هو نوع من تعايش النص مع نصوص أخرى.^(١)

ويذكرنا هذا بقول بارت: "كل نص ليس إلا نسيجاً من استشهادات سابقة"^(٢)، أما بول فاليري فيقول: "لا شيء أَدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين؛ فما الأسد إلا عدة خراف مهضومة"^(٣)، ولا ننسى قول لانسون: "ثلاثة أرباع المبدع مكوّن من غير ذاته"^(٤).

أليس ما سبق دليلاً على ما ذهب إليه "بلوم"؛ فالنص هو عبارة عن نصوص الأسلاف، تحوّل إلى ذات لها خصائص تميزها من غيرها^(٥) فالقصيدة ما هي إلا ثمرة قراءات سابقة.

إذن فقد أفاد "بلوم" مما قيل في نظرية التناص، ومن تحليل الإبداع عند فرويد، وإن عطفنا الذهن قليلاً إلى الجرجاني والنقد العربي القديم ونظرته للإبداع الأدبي، فإننا سنقف على بعض ما قيل -للتمثيل لا الحصر- للدلالة على إثبات الفكرة التي ترى أن النص نتاج نسيان لنصوص محفوظة، وأن الأفكار مشتركة بين الناس ومطروحة في

(١) صدار، نور الدين، النقد العربي القديم وجذور نظرية التناص، ص ٢١١.

(٢) بارت، رولان، نظرية النص، ترجمة محمد خير البلقي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع ٣، ٩٦.

(٣) هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، ص ١٧، بيروت، دار العودة، د. ت.

(٤) لانسون، منهج البحث في تاريخ الأدب، ترجمة محمد مندور، مصر، نخضة مصر، ١٩٧٢،

ص ٤٠٠

(٥) انظر: La revolution du langage poétique. p:388, Julia k risteva

الطريق، والألفاظ متداولة بين المبدعين.

في المقابل إن بناء النصوص بعضها من بعض أمر له جذور في النقد العربي القديم، تفطن له ثلة من النقاد، فالجرجاني ليس إلا امتداداً لمن سبقوه، ولكنه زاد عليهم بنظرية النظم، فمن الجذور السابقة له فكرة الأخذ والزيادة في النصوص عند ابن سلام الجمحي^(١)، ومصطلح السلخ عند ابن قتيبة^(٢). وهذا إثبات بأن ظاهرة تداخل النصوص "سمة جوهرية في الثقافة العربية"^(٣)، فمثلاً، هذه القضية عرضها القاضي الجرجاني، وتسمى عنده "الدربة"، إذ إنَّ الإبداع -حسب رأيه- يتكون من القراءة ثم الدربة يقول: "إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه"^(٤). وأما الآمدي فيعزو الإبداع إلى المخزون القرآني لدى الشاعر، وقد أبعد الاتهام بعزوه إلى كثرة محفوظ الشاعر فتستقر المعاني في نفسه^(٥)، ولابن رشيق تعليق على غاية من الأهمية يقول: "لا يصير الشاعر في قرض الشعر محلاً حتى يروي أشعار العرب، ويستمتع الأخبار ويعرف المعنى في مسامعه الألفاظ"^(٦).

بعد هذا العرض الموجز لقضية الإبداع الشعري، عند ثقافتين مغايرتين وعصرين

(١) الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، جدة، دار المدني، د: ط، ص ١٧.

(٢) الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، القاهرة، دار المعارف، (د: ط)، ١٩٨٢، ص ١٣.

(٣) الغدامي، ثقافة الأسئلة، الكويت، دار سعاد الصباح، ط ٢، ١٩٩٣، ص ١٥.

(٤) الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي،

نشر عيسى البابي الحلبي، (د: ط)، ١٩٦٦، ص ١٥.

(٥) هدار، محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد العربي، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية،

(د: ط)، ١٩٥٨، ص ١٣٤-١٣٥.

(٦) القيرواني، ابن رشيق، العمدة، تحقيق، محمد عبد الحميد، القاهرة، دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١م،

١/ ١٩٧.

مختلفين، يحدو بالبحث هذا إلى عرض مسألتين، الأولى عرض آراء الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، والأخرى عرض آراء بلوم، وبعدها خاتمة توازن بين رأييهما.

- فلسفة الإبداع الشعري بين الجرجاني وهارولد بلوم:

إن قلق التأثر مفهوم نقدي أثاره الناقد "هارولد بلوم"، وحاول فيه تفسير التناس من الناحية النفسية تحديداً عند (فرويد)، فالشاعر اللاحق يشعر بقلق التأثر من شاعر آخر سابق عليه، فيتجه نحو الطريق الأوديبّي.

وقد اشتغل بلوم على آليات يفسر بها الطرق الإبداعية، فسوّغ الإبداع للأديب، وهي فكرة لا نعدمها ظاهرة في النقد العربي القديم، فله فضل السبق والتفسير، لكن الاختلاف بينهما في البيئة وتسمية المصطلحات. وفي هذا البحث عمدنا إلى تأصيل موروث الفكر النقدي العربي السابق أوانه على النقد المعاصر على اختلاف مشاربه. نعود إلى أفكار بلوم الذي تحدث عنها، ومنها: قلق الشعراء الذين يرون أن أسلافهم استنفذوا كل المعاني دون أن يتركوا لهم فضل الاكتشاف والسبق لبعض المعاني الجديدة، وعليه فثمة مقاومة من المتأخرين ضد الأولين في أفكار الأبوة من قبيل قتل الأب، وبهذا المصطلح الأوديبّي الفرويدي سوّغ بلوم للشاعر العدول عن قصائد أبيه (أي المتقدم عليه من الشعراء)، وعليه فإن هذه الحيلة النفسية ساعدت الشاعر المتأخر في أن يتخلص من قلقه الإبداعي.

في المقابل أثار عبدالقاهر الجرجاني رأياً محايداً حول قضية التناس (السرقا الأدبية) عند الشعراء، دوّنها بفلسفته الخاصة في كتابه "دلائل الإعجاز"، وسنعرض أهم ما كتبه عن هذه القضية دون إغفال مقارنته بما جاء به بلوم.

في البدء لا بد أن نعرف أن عبدالقاهر الجرجاني لم يجعل قضية السرقة الأدبية الموضوع الأساس في "دلائل الإعجاز"، لكنه جاء بها عرضاً، مشيراً إليها عند تحليله لبعض معاني النصوص.

كما أنه تلطف باستعمال مصطلحات من مثل: "الأخذ، الاستمداد، أو الاستعانة أو النظر"^(١)، وإن كان طرح فكرته في أسرار البلاغة؛ فإنه في الدلائل زاد عليها من الوضوح والبيان والتفصيل؛ منطلقه في كل هذا؛ نظرية النظم وفكرة العلاقات. من وجوه معالجة الجرجاني لقضية التناسل أن عرضها في نظرية النظم؛ فالنظم عنده يجمع الركنين السابقين اللفظ والمعنى، وهو بذلك يرد على اللفظيين الذين يرون الفضيلة في اللفظ من غير المعنى يقول: "وذلك إنهم لما جهلوا شأن الصورة ووصفوا لأنفسهم أساساً (...) فقالوا إنه ليس إلا المعنى واللفظ لا ثالث"^(٢).

وإنه إذا كان كذلك؛ وجب إذا كان لأحد الكلاميين فضيلة لا تكون للآخر، أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة^(٣)، يذكرنا هذا الرد بما قاله أنصار اللفظ: "لفظ متمكن غير قلق ولا ناب"^(٤) لا يريدون من اللفظ هنا غير الصورة، وليس نطق اللسان وجرس الحروف، يقول أنصار اللفظ: إن من أخذ معنى عارياً فكساه لفظاً من عنده كان أحق به؛ إذ لا يمكن تصور أن يكون اللاحق أحق من السابق إذا كانت الألفاظ الجديدة لا تحدث في النص صيغة أخرى وتكسبه فضيلة جديدة^(٥).

لا يرى الجرجاني أن الألفاظ الجديدة التي يعدها اللفظيون كسوة جديدة لا بد أن تحدث في المعنى اختلافاً نابغاً من الاختلاف الذي ينشأ عن العلاقات الجديدة وليس معنى: فكساه لفظاً من عنده، غير عبارة عن صورة يحدثها الشاعر أو غير الشاعر

(١) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر / محمود محمد شاكر، جدة، دار

المدني، ط ١٩٩١م، ص ٣١٣.

(٢) دلائل الإعجاز ٤٨١.

(٣) انظر: م: ن، ص ٤٨١-٤٨٢.

(٤) م: ن ٤٥٦.

(٥) انظر: م: ن، ص ٤٢٥.

للمعنى^(١).

وتحسين العبارة أو اللفظ لا ينصرف إلى اللفظ قدر انصرافه إلى المعنى الذي تحدّثه العلاقة الجديدة، وبذلك تكون بذور ظاهرة التناص عند الإمام إلى قوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها؛ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه؛ فيعرف لكل من ذلك موضوعه ويحيي به حيث ينبغي له"^(٢).

وعلى هذا النحو يفسر عبدالقاهر الجرجاني أحكام النقاد السابقين فيما يبدو ظاهرياً أنه حكم ينصرف إلى اللفظ وحده فقول النقاد عن شاعر أنه "ما أساء الاتباع" لا يعني غير أن الشاعر صنع بالمعنى شيئاً لم يكن له من قبل، فنقله من صورة إلى صورة، ومن تركيب إلى آخر، والشعر في تركيبه ونظمه وليس في ألفاظه المجردة^(٣).

الخلاصة: إن النص الشعري عند الجرجاني هو جماع ملكات متعددة حلّت فيه حبكة الشاعر وصنعتة التي ميزت قوله عن قول غيره، وإذا جاء المعنى شريفاً والصورة كذلك حاز الشاعر الفضل من جهتين فهو "كالذهب الإبريز"^(٤).

وإن كان الجرجاني قد فسر قضية التناص والإبداع الشعري في دلائله فإنه راح يشرحها ناظرًا إلى الصور والاستعارة والتشبيهات والبديع، وغير ذلك من أسرار الإبداع الشعري، فهو يرى أن من يكسو المعنى لفظاً جديداً وصورة مبدعة فإن ذلك يبرر له الأخذ من السلف، بل ربما يتفوق في القصيد على من سبقه، بالإضافة إلى أن النصين

(١) انظر: م: ن، ٤٨٤

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٨-٨٢.

(٣) انظر: م: ن، ص ٥٠٢-٥٠٩.

(٤) انظر: م: ن، ص ٢٥.

مختلفان إذا اختلفت بينهما العلاقة في ألفاظهما حتى وإن كانت متشابهة، وهذا كفيل بأن يثبت لنا تعليل الجرجاني الذي يرى أن النص وإن كان آخذاً من السابق فهو مستقل؛ لأنه يزيل تهمة السرقة السائدة عند النقاد في ذلك العصر، بينما بلوم يرى أن النص القوي هو امتداد للسلف.

- عودة الموتى!

إن عودة الموتى سؤال فلسفي نقدي طرحه بلوم، وعلّل ذلك بقوله: إن الموتى يعودون بعد تنقيح الشعراء الأحياء لهم، وهي عملية تأثر مرّ بها النص من الشاعر الابن إلى نص الأب الشاعر القوي بعد مروره بمراحل وضحها بلوم؛ لتكون عودة الأسلاف من خلال الاختراع وإعادة الصياغة، وعلّلها بأنها الحالة الإيجابية لعودة الموتى وأطلق عليها «السحر الممتع».

ويُعد هذا السؤال آخر محطة من قلق التأثر، حاول بلوم فيه تفسير القصيدة العظيمة على أنها إعادة تكوين للقصيدة القديم، وبذلك يكون الشاعر اللاحق الذي يمثل نصه (الابن) كتابة ذاتية لنص الأب، ولا تكون القصيدة متفردة إلا بعد أن تمر بعدة مراحل، حددها وشرحها منذ بدء النص الجديد (الابن) بـ"الانحراف" الشعري، حين يتأثر النص الجديد بالقديم، وينحرف عن الأصل من أجل إنتاج نص جديد، فيكشف ذاته من خلال حركة تكتّم يخفي فيها أثر النص الأول.

ولا يقف النص الجديد عند ذلك، بل يسير في مراحل متعددة، يتأرجح فيها بين الاتصال والانفصال عن النص القديم، وبذلك يعيش النص حالة من وهم الإضافة على نص السلف، يلي ذلك مرحلة القطيعة والنسيان ثم الارتقاء المضاد.

ثم يمرُّ بمرحلة يعيشها الابن محاولاً التخلص من إرث الأسلاف، يدعي فيها فرادته المنفصلة عن أي أثر لهم مع أنه يعيدهم في نصه، وتشهد هذه المرحلة تمجيد الذات للشاعر دون أن يعي أنه أفاد من القدماء.

أما المرحلة الخامسة من قلق التأثر ففيها أن الشاعر يقترب من اكتساب أدوات

الميت، في عملية تنقيح شعورية وغير شعورية معاً، ينتج منها قصيدة هجينة، وسنقف بشيء من التفصيل عند كل مرحلة نعرض فيها تفسير بلوم للإبداع الشعري:

- كيف يصبح الناس شعراء؟

من وجهة نظر بلوم أن جلَّ الشعراء على مختلف الأزمان مشتركون في إبداع قصيدة واحدة عظيمة دائمة النمو فكأنها كما عبّر تشللي قصيدة دائرية مهبجورة^(١)، والعلاقة القائمة بينهم هي التأثير والديالكتيك، فكل شاعر تجده في كل قارئ دون قطعية بينهما، ومع ذلك: كيف يصبح الناس شعراء؟

فُسِّر الانحراف الشعري أو التكتّم الشعري في البداية بأنه فلسفة الإبداع التي رام تفسيرها بلوم، وجاء قلق الإبداع عند الشعراء بعد عصر الأنوار الذي افتتن الشعراء فيه بمفاهيم مثل العبقرية والفن المتسامي؛ فخيم عليهم القلق بأن الفنَّ تجاوزَ للعمل الشاق. وعندما يكتشف الشاعر تأثيره الشعري يسعى لأن يكون الشعر محيطاً به داخلياً وخارجياً، وبعد هذا يمتلك الرغبة أو القوة لإعادة الشعر خارج ذاته فكأنها ولادة ثانية للنص^(٢)، فالقصيدة داخل الشاعر يعثر عليها من خلال قصائد أخرى (عظيمة) لغيره. وفي تحويل جوهر أحد الشعراء، هنا يلزم على المبدع أن يختار نموذجاً عظيماً من الشعراء ويحذو حذوه حتى يشبهه، فيتشاكل فيه التابع مع الأصل، وهذا التأثير يتأرجح بين الربح والخسارة، وفيه يتأثر اللاحق بالسابق في الشعر الذي هو هبة الروح، ويأتي بما يسميه شذوذ الروح، أو ما أسماه "بليك" وبشكل أدق شذوذ الحالات^(٣).

وبهذا يمكن القول: قد تؤثر قصائد شاعر معين بقصائد شاعر آخر؛ وهذا راجع إلى تفاعل متبادل بينهما في الروح عبر قراءة لا واعية للشاعر المبدع، بمعنى: إذا كان

(١) انظر: بلوم، هارولد، قلق التأثير، ص ٢٦

(٢) راجع: م:ن، ص ٢٧

(٣) انظر: بلوم، هارولد، قلق التأثير، ص ٣١

الشاعر قوياً تكون قراءته للسلف ضالة، وهذا تأويل ضال عند بلوم، ولكن هل ثمة تاريخ للتأثر الشعري المثمر؟

ذكر بلوم أن التقليد الرئيسي للشعر الغربي منذ عصر النهضة يوصف بأنه تاريخ القلق وتاريخ التشويه والتنقيحية المقصودة والشاذة التي بسببها ظهر الشعر الحديث كما هو الآن^(١)، ولا يعترف الشعراء بهذا التأثر النافع بل يميلون إلى التكنم الشعري؛ لأنهم يرون فيه حرية، إنه انحراف فعل حرّ يمر فيه الشعراء عبر الحالات مروراً ناقصاً إذا لم يجيدوا عن الأصل، والتكنم الحاصل هو فعل إجبار واختيار معاً؛ فهو يمثل الصيغة الروحانية لكل شاعر.

وليس هذا ببعيد عن قول الجرجاني: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً (والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه) فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله"^(٢)

وهذا أمر على غاية من الأهمية ندرك به تكوين المبدع والوعي بذلك في التراث العربي القديم، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، وصايا الشعراء الأقوياء للشعراء الجدد بحفظ الشعر والأراجيز ثم نسيانها عند الكتابة.

ومن تفسيرات بلوم للإبداع ما أسماه بالتكرار والقطيعة، وفيها يرى أن القراءات الشعرية المتعددة للأسلاف بشكل ضال هي علامة صحية وطبيعية، لكنها في المقابل على الصعيد الفردي تُعد ذنباً؛ لأن قصائد الأسلاف هي نوع من الملكية، ومع ذلك فإن تلك العلاقات التناسية في الشعر ليست لصوصية، وعليه ينتج الشعر الحالي عن

(١) انظر، (م، ن)، ص ٣٢.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٦٩.

قطيعة للنص القديم، فالشاعر المقتدر هو من يصمد أمام سلفه.

يشرح بلوم حالة الشعراء في عصره، بأن القوي منهم الذي لديه القدرة على الدخول باقتدار في حلبة الصراع مع الموتى، فإن بعضاً منهم فقط وهم القلة من يفوز بشعر القطيعة^(١)، وعند الشاعر القوي (دع قصيدي تكون) إنها صيغة جاء بها الأب الشعري الذي ذُوب في الهو وليس في الأنا الأعلى، وعليه فإن المشكلة الجوهرية للشاعر اللاحق تتمثل بضرورة التكرار؛ أي تكرار إعادة إنتاج الصور من الماضي التي تقاومها رغباتنا الحاضرة، وعليه تصدى علم النفس لهم بشجاعة.

فالتكرار والقطيعة عند بلوم من المراحل المهمة التي يمر بها الشاعر الجيد، فتذكر القصيد القديم أو تكراره هو نفس الفعل، ولكنهما باتجاهين متعاكسين؛ فالتذكر هو أمر ماضٍ ومتجه للوراء بينما التكرار يتجه للأمام.

إن استطاع الشاعر المعاصر تكرار القصائد العظيمة فسيكون سعيداً، بشرط أن يعيش لحظة ولادة نصه الجديد ولا يعيشها أيضاً، هذا التناقض متأب من التكرار الذي يبحث فيه الشاعر عن عذر، وعذره بأنه نسي كل شيء، ولهذا فإن الشاعر القوي يستمر في الحياة بسبب عيشه قطيعة التكرار، وبالرغم من ذلك فلن يكون شاعراً إذا لم يستمر التحرك باتجاه الأمام.

في المقابل لقد نظر عبدالقاهر الجرجاني إلى التناص من جهة نظرية النظم وارتأى أن السرقات ليست مرتبطة باللفظ أو المعنى كل على حدة "كما فعل السابقون عليه عندما قسموها إلى سرقات معاني وسرقات ألفاظ"، ومن أهم القضايا التي قضت عليها نظرية النظم ثنائية اللفظ والمعنى، وهي من الأسس التي كانت تقوم عليها آراء النقاد القدامى في السرقات؛ فالنص عندهم مجموعة من العلاقات بين المعاني والألفاظ، فمن أبرز أهداف عبد القاهر الجرجاني في كتابه الدلائل، بيان المعاني وطرق انتقالها ونقاط

(١) فلق الشعر، ص ٨٠.

التقائها وافتراقها وأحوالها.

لقد تحرى الجرجاني الدقة في الكشف عن خصوصية التعبير وتفرّد الصياغة بشكل دقيق وكامل. يقول في معرض الرد على من يجمل من غير أن يفصل ويومئ من غير أن يحدد: "ولكن بقي أن تعلمونا مكان المزيّة في الكلام وتصفوها لنا وتذكروها، ولا يكفي أن تقولوا إنه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها أمثلة"^(١).

ويعود إلى الفكرة نفسها في موضوع لاحق، فيقول: "واعلم أنك لا تشفي العلة، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مجملًا إلى العلم به مفصلاً وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه والتغلغل في مكانه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه... في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه إلى أن يعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي مرّ منه"^(٢)، فالنص عند الجرجاني مجموعة علاقات بين الألفاظ، لا يمكن أن تستقل عن المعنى، وهي معنى لا غنى له عن اللفظ.

وعليه تنتج المعاني من العلاقات التي بين الألفاظ، "والألفاظ ليست ملكًا لأحد، فإذا أخذها شاعر وأعاد صياغتها في صورة أخرى، فما هو إلا صائغ أعاد إحياءها من جديد ... لا تكون الفضة خاتمًا، أو الذهب خاتمًا، أو سوارًا أو غيرها من أصناف الحلبي بأنفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصور، كذلك لا تكون المفردة التي هي أسماء، وأفعال وحروف كلامًا وشعرًا من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توحى معاني النحو وأحكامه"^(٣).

إنه يبرر للشاعر بأن الصياغة اللفظية الجديدة المبدعة لمعنى سابق هي ما يعطي

(١) دلائل الإعجاز، ص ٣٦.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢٦٠.

(٣) العسكري، أبو هلال، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٩٥٢م، ص ٢٤٩.

الأحقية للشاعر بأنه استلّ المعنى المطروح من سابقه فكساه حلّة جديدة، فصار به أحق من غيره، دون أن يكون متفردًا، إنما مادته مستلة من سابقه ولكن بروحه الشعرية المبدعة. ويرى عبدالقاهر الجرجاني أن الاختلاف الحاصل في علاقات المفردات ينتج عنها تغيير في الشكل والمعنى دون اللفظ، يقول: "إذا كان هناك نصان تختلف العلاقات القائمة بين ألفاظهما حتى لو كانت متشابهة، فمعنى ذلك أنهما نصّان مختلفان وليسا متشابهين" (١).

فالعلاقة جدلية بين اللغة والفكر والنحو والمنطق، يستعين كل منهما بالآخر لأجل المعنى والمشار، إنه تعالق دالّ مفيد "إنما يكون تقديم الشيء على الشيء نسقًا وترتيبًا إذا كان ذلك التقديم بموجب أوجب أن يقدم هذا ويؤخر ذاك، فأما أن يكون مع عدم الموجب نسقًا فمحال" (٢).

نعود مرة أخرى لبloom؛ لنكمل معه مراحل المبدع، ومنها: **التكامل والتضاد**، وهي أن يكتب الشاعر اللاحق من خياله تكملة لقصيدة السلف (الناقصة)، نتجت من قراءة ضالة وانحراف تنقيحي، فاللسان حال قصيدة السلف يقول للقصيدة الحفيدة كوني مثلي، ولكن مختلفة عني" (٣).

ومن الأسئلة التي طرحها Bloom: لماذا يمثل التأثر قلبيًا لدى الشاعر اللاحق وهو في الأصل يُعدّ علاقة صحية خاصة عندما يتعلق بالشعراء الأقوياء؟ فيما أسماه بـ **التكتم الشعري**. إن هذا التكتم جوهر القضية التي شغلت Bloom منذ بداية الكتاب يحاول فيها

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٦٨

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٣٨

(٣) قلق التأثر، ص ٧١

تفسير ظاهرة الإبداع، مضيئاً على ما سبق بعداً ثالثاً أسماه الإ فراغ أي الخيال الذي يهدم ويعزل، فالعلاقات الشعرية هي علاقات تناسية.

ولا نغفل مرحلة "السمو المضاد" التي أشار إليها بلوم، فهي مرحلة يرى بلوم بأنها تمثل الرومنتيكية التي يحاول فيها الشاعر جاهداً الكبت ونسيان السلف، وهذا لا يقدر عليه إلا الإله -برأي بلوم- فنفي السلف مسألة غير ممكنة نهائياً، وعليه فإن الشاعر يحاول أن يجعل نفسه إلهاً بشعره؛ ولكن لا يقدر فثمة صراع بين الأخلاق والغرائز، وهذا ما فصله فرويد في العملية الإبداعية وأفاد منه بلوم في فلسفته.

ومن مراحل الإبداع الشعري عند بلوم؛ مرحلة التطهر والنجسية، وهي مرحلة يمر بها الشاعر لإنتاج إبداعه الشعري، فالكتابة وقراءة موروث الأسلاف من القصائد عملية تضحية؛ لأن التطهر الذي يمر به الشاعر يستنزفه أكثر مما يزيد الخصوبة الإبداعية فالشاعر عندما ينقح قصيدته فإنه يكون بذلك قد بدل نفسه خلال تطهيرات متعددة ليصل إلى إبداعه.

إذن، بعد هذا العرض، يكون السؤال الحاسم الذي أثاره بلوم هو: كيف يعود الشعراء الأقوياء من الموت؟

يعود الشعراء الأقوياء من الموت بواسطة مقصودة لشعراء أقوياء آخرين، بشرط ألا يعودوا سالمين؛ لأنهم حتماً سيلحقون الضرر بالشعراء اللاحقين، فيدخل الشاعر اللاحق في عوز تخيلي لا يقدر أن يشبع نفسه منه.

فنفهم بذلك أن عودة الموتى مشروطة بعدم حضورهم كما في القصائد، بل لا بد أن تخضع القصائد إلى انحراف بالمعنى المحمود عن قصيدة الآباء، وتختلط بمخيلة الشاعر اللاحق فينتج نصاً عظيماً يتميز به، كما أن الشاعر المعاصر لا يمكن أن يتميز إلا

باستحضاره وقرءاته المتعمقة لشعراء السلف، فالإبداع ليس وليد الفكر الخالي، بل لا بد أن يتناص مع نصوص أخرى.

يقول بلوم: "ولكن الذي يعرفه الشاعر القوي بحق هو أنه سيكتب قصيدة ينتشر شعاعها في كل مكان، وعندما يأتي الشاعر ليشهد نهايته فإنه يكتشف حاجته إلى بعض البراهين الوعرة التي تؤكد أن قصائده الماضية ليست مجرد هياكل عظمية، وهكذا يبحث عن دلائل تثبت نخبويته التي ستكون بمثابة تحقيق نبوءات السلف عبر إعادة ابتكارات لها بمصطلحات تخصه هو تمامًا، هذا هو السحر الممتع لحالة (عودة الموتى) الإيجابية"^(١)، فالروح الحارسة كما يقول تأتي إلينا من الأسلاف من الوراثة.

استمر بلوم يطرح أسئلة نقدية قلقية في كتابه ابتداءً من تفسيره للكيفية التي تسير بها العملية الإبداعية، وأجاب عنها بأنها تمرُّ بمراحل -عُرِضت أهم أفكارها في هذا البحث-، ولم يكتفِ بذلك بل تساءل عن تلك من المراحل التنقيحية الأخرى التي يستمدّها الشاعر المعاصر من الأسلاف: هل ستساعده على التفرد؟ أم أنها تشوهم بقدر ما تشوه الآباء؟

إن القلق لم يلتف فقط حول الشعراء، بل حتى النقاد في طرح تلك التساؤلات التي تفسر العملية الشعرية الإبداعية يقول: "علينا أن نحجم عن التفكير بأن الشاعر يمثل أنا مستقلة، مهما تكن بادية نرجسية الشعراء الأقوياء، فكل شاعر هو مخلوق متورط في علاقة دياكتيكية (التسامي، التكرار، الخطأ، التواصل) مع شاعر أو شعراء آخرين"^(٢)؛ فالشعر هو قلق التأثير، والتكتم هو الانحراف المؤدب، كما أنه الفهم/التأويل

(١) قلق التأثير، ص ١٥٣

(٢) م: ن، ص ٩٢.

الضال، الخلف الضال".

فمن تفسيرات بلوم للعملية الإبداعية، أن كل قصيدة لم تنحرف فقط عن قصيدة أخرى، بل حتى عن نفسها أيضًا، كأن نقول: «كل قصيدة تأويل ضالّ لما يمكن أن يكون ممكنًا»^(١).

وإذا كان المبدع مكوّنًا من غير ذاته فلا بد أن نميزه -أي أن نحقق له وجودًا فعليًا خالصًا، ويكون ذلك بالتعرف على الماضي الذي يمتد فيه، والحاضر الذي يتسرب إليه، وعندئذ يمكن أن نحدد أصالة الحقيقة وأن نقدرها.

ويدل ذلك على الوعي العميق بقضية الإبداع، ونفي السرقة عند المبدع، حيث جعل الصياغة في نظرية النظم مستندةً على اللفظ العام والخاص والمشارك والمؤول، أما البناء اللغوي وإشارته فتركه لوعي التلقي، ومع ذلك يرى أن ثمة أخذًا من النصوص السابقة للمبدع دون إبداع فيها، فيقع فيها السرقة.

(١) م: ن، ص ١٢٠

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي جمعت بين ناقلين مختلفين عصرًا وبيئة وثقافة، واتفقا على فكرة واحدة؛ تلك التي تتضمن تأثير الشعراء بغيرهم من الشعراء الأقوياء، بينما يبيّن الفرق جليًا بينهما في الرؤية النقدية حول فلسفة الإبداع الشعري.

يرى الجرجاني أن من تصرف باللفظ؛ فهو أحق به من الشاعر السابق، فيما يرى بلوم أن الشاعر اللاحق هو امتداد للسابق ولا يخرج منه، بل هو مكمل عليه، وليس له فضيلة. ويجتمع الناقدان في فكرة مفادها أن المبدع لا غنى له عن السلف، إذ يرتوي من سابقه حتى يعطي ويبدع، فيصوغ كلماتهم بحسه وروحه، وإن اختلف نصّان في علاقات الألفاظ؛ فإن لكل شاعر حق في قصيدته.

وما عرضناه سلفًا يدل على أن عقلية الجرجاني النقدية صادرة من تلك العقل الجمعي الذي ينص على قضية السرقة، فيبرر للشاعر عدم السرقة، وله بذلك حق ملكية القصيدة. بينما تصدر رؤية بلوم من غلبة الفلسفة والعقل في عصر ما بعد الأنوار، وظهور الرومنتيكية في النص التي ترى أن الشاعر يحاول أن يكون إلهًا في نصه متجرّدًا من أسلافه؛ إذ وقف بلوم على ذلك مفسرًا قلق الشعراء في تلك الحقبة. لقد أجمع الناقدان على أن القصيدة القوية لا تخرج من عبادة السلف، فهي امتداد لها، وهذا ما أثار سؤالاً عند بلوم: "كيف يولد الشعراء الحقيقيون؟".

إذن؛ يمكننا القول بأن الجرجاني وبلوم صاحبا نظرية، اجتهدا فيها، وكان منطلق كل واحد منهما الآراء التي عايشها حول قضية الشعر وقلقه والنظم وملايساته، بينما اختلفا في مناسبة تأليفه للكتاب، وطريقة معالجته فيها؛ ففي نظرية النظم كان الأصل في ذلك التأليف؛ البيان في القرآن الكريم، ثم في سائر الأقوال ومن ضمنها الشعر.

وقد عمل الجرجاني على تفسير عملية الإبداع عند الشاعر وعدم اتهامه بالسرقة؛ فالإبداع يتوالى بين الأجيال؛ فمن كسا المعنى لفظًا من عنده فهو أحق به. وعلى النظر

عند بلوم إذ فسر العملية الإبداعية من منظور نفسي، وطرح فلسفة قلق التأثر عند الشعراء بمراحل فسرهما وأبان عنها منطلقاً مما قاله فرويد في ذلك، فالذات الشاعرة إذا أحببت ذاتاً أخرى، فهي تحب ذاتها في الآخر، والقصائد ليس موضوعات؛ إنما هي حول قصائد أخرى فالقصيدة هي رد على قصيدة على أخرى^(١)، وعلى هذا فالقصيدة تحرب من الموت عند كتابتها، وهذا يؤكد على أن التأثر الشعري هو قراءة ضالة، ومن جانب آخر تحدث بلوم عن نظرة الشعراء لأنفسهم فهم يرونها كالنجوم يتأثر منهم ولا يتأثرون، ورغم ذلك فإن الشعراء الأقوياء لا تزال في أنفسهم شيء من ريبة التأثر^(٢).

ونقول: إذا كان دافع الجرجاني من تأليفه "دلائل الإعجاز" ضجره من أهل زمانه لعدم معرفتهم قيمة البيان؛ فإن بلوم انطلق من مسؤولية الناقد التي رأى أهميتها في إحداث الضرر مثل فعل الخير تماماً.

وباختصار معنى القصيدة عند بلوم؛ فهي لا تخرج عن كونها إما قصيدة/قصائد السلف، أو أن تكون نوعاً من القراءة، أو هي الخصم (ابنة/حفيدة السلف)، التي لم يتسن بعد كتابتها، وربما قد تكون مزيجاً إبداعياً من مجموعة قصائد.

وخلاصة الخلاصة من الدراسة أن وظيفة الناقد تتجلى في تلك النظريتين بشكل واضح، فالناقدان أخذوا على عاتقهما هم الشعراء، فالجرجاني حاول أن يزيل تهمة أرقّت الشعراء في عصره تتمثل في السرقة الأدبية، بينما بلوم اجتهد في نظريته التي بناها من جانب نفسي وبعض التقاليد اليهودية لفئة معينة من الشعراء تتمثل في عصر ما بعد الأنوار وتخص الرومنتيكية.

(١) بلوم، هارولد، خريطة القراءة الضالة، ص ٢٥.

(٢) انظر: م: ن، ص ١٨.

المصادر والمراجع

المصادر:

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمد محمود شاكر، القاهرة/ جدة، مكتبة الخانجي/ مطبعة المدني، ط ٣، ١٩٩٢ م.
بلوم، هارولد، قلق التأثر: نظرية في الشعر، ترجمة: عابد إسماعيل، بيروت، دار الكنوز الأدبية، ط ١، ١٩٩٨ م.

المراجع

باختين، ميخائيل، شعرية دوستوفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، المغرب/ الدار البيضاء، دار توبقال، (د:ط)، ١٩٩٦ م.
بارت، رولان، من الأثر الأدبي إلى النص، ترجمة عبد السلام بن عبد الله، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٣٨، ١٩٨٦ م.
بارت، رولان، نظرية النص، ترجمة محمد خير البلقصي، مجلة العرب والفكر العالمي، ٣٤، ١٩٩٦ م.
بارت، رولان، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، بيروت، دار عويدات، (د:ط)، ١٩٨٨ م.
البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، المغرب/ الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٧ م.
بلوم، هارولد، خريطة القراءة الضالة، ترجمة: عابد إسماعيل، لبنان، دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٠ م.
الجرجاني، علي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، (د:ط) نشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٦ م.

الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر/ محمود محمد شاكر، جدة، دار المدني، ط ١، ١٩٩٩.

الجمحي، ابن سلام (٢٣٢هـ) طبقات فحول الشعراء، جدة، دار المدني (د:ط)، (د:ت).

الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، القاهرة، دار المعارف، دار إحياء الكتب العربية، (د:ط)، ١٩٨٢ م.

صدار، نور الدين، النقد العربي القديم وجذور نظرية التناسخ، مجلة قراءات، المركز الجامعي مصطفى اسطبولي - معسكر -، العدد الأول، ٢٠٠٨ م.

العسكري، أبو هلال، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، مصر، نشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢ م.

الغذامي، ثقافة الأسئلة، الكويت، دار سعاد الصباح، ط ١، ١٩٩٣ م.

- القيرواني، ابن رشيق، العمدة، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١ م.

لانسون، منهج البحث في تاريخ الأدب، ترجمة: محمد مندور، مصر، نهضة مصر، (د:ط) مصر، ١٩٧٢.

المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩ م.

هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن، بيروت، دار العودة، د: ط، د: ت.

Bloom, Harold, Poetry Repression: Revisionism from Blake to Stevens, 1976, p213

ristèva La revolution du langage poétique. p;388, Julia k
Abd al-Qaher al-Jurjani in "Dalaal Alijaz" and Harold Bloom in
"Anxiety of Influence". Descriptive comparative study. -

Bibliography

Sources:

Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir, "Dalā'il al-I'jāz", read and commented on by: Abu Fahr Muhammad Mahmoud Shakir, Cairo / Jeddah, Al-Khanji Library / Al-Madani Press, 3rd edition, 1992.

Bloom, Harold, Anxiety of Influence: A Theory of Poetry, translated by: Abed Ismail, Beirut, Dār Al-Kunouz Al-Adabiya, 1st edition, 1998.

References:

Bakhtin, Michael, Dostoevsky's Poetry, Translated by: Al-Tikriti, Jamil Nassif, Morocco / Casablanca, Dār Toubkal, (No edition), 1996.

Barthes, Roland, From the literary effect to the text, translated by: Abdul Salam bin Abdullah, Journal of Contemporary Arab Thought, No. 38, 1986.

Barthes, Roland, Theory of the Text, translated by: Al-Balqasi, Muhammad Khair, Journal of Arabs and Global Thought, p. 3, 1996.

Barthes, Roland, structural criticism of the story, translated by: Antoine Abu Zaid, Beirut, Dār Oweidat, (No edition), 1988.

Al-Bazī'i, Sa'd, The Jewish Component in Western Civilization, (in Arabic). Morocco / Casablanca, Arab Cultural Center, 1st edition, 2007.

Bloom, Harold, The Stray Reading Map, translated by: Abed Ismail, Lebanon, Dār al-Kunuz al-Adabiya, 2000.

Al-Jurjāni, 'Ali, al-Wasāṭah bayna al-Mutanabbī wa-khuṣūmih, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and 'Ali Al-Bajawi, (No edition) published by: Issa Al-Babi Al-Halabi, 1966.

Al-Jurjāni, 'Abd al-Qahir, Asrār Al-Balāgha, read and commented on by: Abu Fahr / Mahmoud Muhammad Shakir, Jeddah, Dār Al-Madani, 1999, 1st edition.

Al-Jumahi, Ibn Salām (232 AH), Tabaqāt Fuhūl Al-Shu'arā, Jeddah, Dār Al-Madani (No edition), (no date).

Al-Dīnawarri, Ibn Qutayba, al-Shi'r wa-al-Shu'arā, Cairo, Dār Al-Ma'arif, Dār Ihya Al-Kutub Al-Arabiyyah, (No edition), 1982.

Saḍār, Nour al-Dīn, Ancient Arabic Criticism and the Roots of the Theory of Intertextuality, (in Arabic). Qiraat Magazine, University Center Mustafa Istanbul-Maskar-, first issue, 2008.

- Al-‘Askari, Abu Hilal, al-Ṣinā‘atayn al-kitābah wa-al-shi‘r, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and Ali Al-Bajawi, Egypt, published by Issa Al-Babi Al-Halabi.
- Al-Ghadhami, Thaqāfat al-As’ilat, Kuwait, Dār Suad Al-Sabah, 1st edition, 1993.
- Al-Qayrawāni, Ibn Rasheeq, Al-‘Umda, investigated by: Muhammad Abdel-Hamid, Beirut, Dār Al-Jeel, 5th edition, 1981
- Lanson, Research Methodology in the History of Literature, translated by: Muhammad Mandour, Egypt, Nahdat Misr, (no edition), 1972.
- Al-Masiri, Abdel-Wahhab, Encyclopedia of Jews, Judaism, and Zionism: A New Interpretive Model, (in Arabic), Cairo, Dār Al-Shorouk, 1st edition, 1999.
- Hilal, Muhammad Ghoneimi, al-Adab al-Muqāran, Beirut, Dār Al-Awda, (no edition, no date)
- Bloom, Harold, Poetry Repression: Revisionism from Blake to Stevens, 1976, p213 - ristèva La révolution du langage poétique. p;388, Julia k.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 8

Part : 2

Apr - Jun 2023